جدل اللسانيات وفلسفة اللغة
بين بارت وفتغنشتاين

حيدر علي سلامة*

تمثل العلاقة ذات الطابع الإشكالي الى حد كبير، بين كل من: الحداثة واللسانيات في ادبيات رولان بارت 1915-1980 من اهم المداخل الأساسية والرئيسية لفهم وتأويل تاريخ اللسانيات في الفكر الغربي من جهة؛ وتطور السيميولوجيا والخطاب النقدي من جهة أخرى. والباحث المتعمق في بنية اعمال بارت اللسانية والسيميولوجية، سيجد كيف أن لغة بارت لم تكن مقتصرة ومحددة ضمن حدود الدرس اللساني الأكاديمي والتقليدي المحض. بل على العكس من ذلك تماما، إن المشروع النقدي الطليعي عند بارت يعبر في الواقع عن يوتوبيا دلالية مغايرة تطمح نحو تأسيس منطق بحث **inquiry** جديد لم تشهده من قبل علوم اللغة واللسانيات والنقد الأدبي.

ولقد تحول ذلك المنطق الجديد فيما بعد، إلى أورغانون **Organon** الحداثة اللسانية والنظرية الثقافية **Cultural theory** والأدبية في أثريات بارت. وبطبيعة الحال، فأن الإشارة هنا إلى مفهوم الأورغانون لا يحيل بالضرورة ولا يتطابق أبدا مع أورغانون أرسطو أو فرنسيس بيكن. بل على العكس، إن الأورغانون البارتي–نسبة الى بارت– الجديد يتقاطع تماما مع فلسفات أرسطو وبيكن ومع تاريخ الفلسفة التقليدي برمته. وذلك لان معظم طروحات بارت في اللغة والنقد واللسانيات، لم تتحدد ضمن منطق جوهر **Essenes** اللغة وبنيتها الميتافيزيقية المطلقة، بل إن الطروحات البارتية ذهبت إلى ما هو ابعد من ذلك بكثير، عندما شرعت في تفكيك الظاهرة الأنتيكية **antiquity**القديمة الملازمة لتاريخ اللغة والأدب والثقافة في الفكر الغربي على الدوام.

بعبارة أخرى، إن حداثة بارت اللسانية/واللغوية كانت بمثابة ثورة على "تكنولوجيا الأسلوبيات التقليدية" التي لطالما عملت على عزل اللغة واللسانيات عن مجمل تحولات الثقافة والخطاب في السياقات التاريخية. وهذا هو احد أهمّ الأسباب التي دفعت بارت إلى تدشين قطيعة إبستمولوجية مع تاريخ تلك اللسانيات النظرية **speculative linguistics** لينعرج بذلك إلى ابتكار "استراتيجية لسانية "

*باحث أكاديمي - العراق- متخصص في فلسفة الدراسات الثقافية.

Linguistic Strategyوالتي من أهم خصائصها: أنها جدلية تتعارض مع تاريخ اللسانيات الوضعانية **objectivism** والوضعية **positivism**؛ وفي الوقت نفسه تعمل ضد منطق الثقافة المستقرة **Stable culture** الذي ينتج حينما يتم احتكار الثقافة من قبل طبقات بعينها كالبرجوازية–حسب بارت– فتتحول الشيفرات الثقافية لهذه الطبقة مع مجمل أنظمتها الدلالية واللغوية إلى "ثقافة عامة" norms على الجميع الخضوع والامتثال إلى خطابها وقيمها وأحكامها اللا متناهية وأشكالها القارة في هسهسة اللسان والتعبير.

لهذا، أخذت وظيفة السيميوجيا عند بارت طابعا مختلفا تماما، فلم تعد مجرد علم وضعي يبحث في الإشارات العامة. [1] لا سيما إذا علمنا أن بارت جعل من مصطلح السيميولوجيا مرادفا لمصطلح تحليل الخطاب النقدي **critical discourse analysis** الذي يتجاوز "منطق الثنائيات" **Dualism** السائد في علم اللسانيات عند سوسير. وهذا ما يمكننا استنتاجه من خلال مطالعتنا لأغلب كتابات بارت ومؤلفاته الأكاديمية ومقالاته الشعبية التي رصد عبرها أثريات الفكر الأنتيكي (القديم) المسيطر على تاريخ اللغة وإنتاج منطق الدلالة الثقافي في بنية الخطاب ونظام العلامة.

وهنا يأتي أنموذج بارت في النقد الجديد النقيض الرسمي لبرادايم النقد القديم، ليشكل بيان الحداثة الجديدة التي تقف بالضد من صعود وسيطرة ثقافة الطبقات المتحكمة في إنتاج/وإعادة إنتاج سياسات المعنى الأيديولوجية. وقد مثلت البرجوازية –حسب بارت– التوجه العام في الثقافة **bourgeois-oriented culture**. وبطبيعة الحال، كان صعود النزعة التقليدوية **traditionalism** من أبرز ملامح ذلك التوجه الثقافي المعياري المحكم والصارم، وهو الذي سينعكس حتما على ظاهرة تطور اللسانيات **linguistic development** عند بارت، لا سيما تلك المتمثل منها بسلطة "الكتب القديمة " **ancient books**التي أفرزت أجيال من الأدباء والكتاب في الشعر والأدب والرواية اتسمت كتاباتهم وأساليبهم في إنتاج نثر يتعارض تماما مع الأفكار الطليعية للنقد الجديد [2]

وهذا ما جعل تاريخ تطور اللغة واللسانيات ينقسم إلى مرحلتين حسب بارت. الأولى: عندما كان استعمالات اللغة مع تلك الأجيال التقليدية محددة ومقتصرة على الوصف والتحليل الوضعي، وهي المرحلة المبكرة؛ أما المرحلة المتأخرة فهي تتمثل في انتقال استعمالات اللغة التقليدية وتحولها إلى ثقافة وذهنية ومنتج خطابي في كينونة المتكلم/الأداة **agent** حيث يكون استعمال اللغة في هذه المرحلة من خلال فضاء وزمان الذات المتكلمة الرازحة تحت سلطة لا متناهية من دلالات"المرحلة العقلانية" المبكرة للغة.

من هنا، فإن فكرة اللسانيات عند رولان بارت لا يمكن لها أن تستقيم دون إدخال مفهوم "القطيعة الإبستمولوجية"**rupture Epistemological** حيث سعى فيها الى التمييز بين شكلين من اشكال اللسانيات: لسانيات تحليلية **analytic linguistic** تمثل المرحلة الوضعية المبكرة؛ والمرحلة المتأخرة **later linguistic** التي يمكن من خلالها تأويل مفهوم الثقافة المستقرة من خلال أشكال التعابير اليومية السائدة.

لذلك، فأن مفهوم "اللسانيات الشكلانية والبنيوية" المحكم والمحكوم بصرامة وضعانية مطلقة، لم يعد له أي حضور وأهمية تُذكر في فكر بارت اللساني، منذ اللحظة التي تحولت فيها اللسانيات معه إلى وسيط ثقافي **linguistic medium** وتداولي/تواصلي.

–بارت وفتغنشتاين: جدل اللسانيات الاحتمالية وفلسفة اللغة العادية

إن الفكرة الأساسية لعقد سلسلة من المقاربات الفلسفية والمنطقية، بين بارت وفتغنشتاين، إنما تسعى إلى الكشف عن طبيعة التداخل المنهجي والإشكالي واللغوي بين كل منهما.وقد يبدو أنه ليست هناك ثمة علاقة وتداخل بين بارت وفتغشتاين، فالأول جاء من عالم النقد الأدبي وتحليل الخطاب النقدي وفن السيميولوجيا؛ والآخر جاء من عالم الفلسفة والتحليل المنطقي للغة من خلال استعمال لغة الرياضات واعتماد رموزها الوضعية بوصفها معيار المعايير لاستعمال اللغة الصائبة – وبالطبع نحن نشير هنا إلى المرحلة الوضعية المبكرة لفتغنشتاين تحديدا مع كتابه **-tractatuslogico philosophicus** –.

لكن نظرة نقدية فاحصة لطبيعة التحولات والقطائع الحاصلة في فكر كل واحد منهما،يمكن لها أن تشير إلى وجود ملامح فلسفية مشتركة بينهما. فالجدل الحاصل في فلسفة فتغنشتاين للانتقال من نظرية اللغة **Theory of language** الى فلسفة اللغة **philosophy of language** يعيد إلى ذاكرتنا الحراك الحاصل في فكر بارت من اجل الانتقال: من نظرية اللسانيات التحليلية الوضعية إلى فلسفة لسانيات الوسائط الثقافية النقدية. أضف إلى ذلك، أن تفكيك برادايم المنطق الوضعي ونقد الرؤى العقلانية المستمة مثلت القاسم المشترك الأكبر بينهما.

وكان مفهوم "نظرية اللغة" واحدا من المفاهيم التي شكلت تحديا كبيرا أمام فتغنشتاين في التعاطي مع المفاهيم الوضعية لكل من: اللغة الطبيعية؛ اللغة الشكلانية؛ اللغة الصنعية artificiel **language**؛ اللغة المثالية...الخ. ويتضح حجم الصعوبات التي واجهها فتغنشتاين من خلال طبيعة الصراع الحاصل بين كل من سيطرة النزعة التجريبية في اللغة الطبيعية وفلسفة اللغة العادية

ordinary language philosophy. حتى: ((أخذت نظرية اللغة نفسها تستمد تبريرا كافيا لها حيثما تكون لكل قاعدة وصفية صائبة في اللغة الطبيعية شكلا محددا مسبقا من ناحية؛ واستعمالا للأبنية متطابق تماما مع المسلمات الكلية في اللغة من ناحية أخرى)).[3]

بهذه الطريقة تكون العلاقة بين نظرية اللغة واللغة الطبيعية، علاقة "صنعية" محكومة بمجموعة من قواعد المنطق التجريبي **logical empiricist** الذي يساهم إلى حد كبير فيدعم اللغة الصنعية **languageartificial** وإضفاء الطابع الآلي عليها. وهذا ما جعل منها لغة تفتقر إلى الملمح الديناميكي الذي تتسم بها عملية التواصل بين المتكلم واللغة وطرق التعبير، لا سيما وهي لغة تحاول على الدوام تجسيد النموذج المعرفي المفاهيمي **conceptual knowledge** الخالص.

تقودنا هذه الإشكالية إلى حقل ذو صلة مع نظرية اللغة واللغة الطبيعية وهو فلسفة اللغة **philosophy of language**: ((وهي تعد مجالا من مجالات البحث الفلسفي في عملية تكوين وبناء المعرفة المفاهيمية، أكثر بكثير من العديد من العلوم الفلسفية المعاصرة أمثال فلسفات العلم والرياضيات والفن وغيرها. إنها ذلك الحقل الذي يتطلب منا تعلم ما يتوجب استخلاصه من دراسة كيفية التعبير عن تلك المعرفة المفاهيمية والتواصل بها بواسطة اللغة. بناء على ذلك، فأن الفرضية الأساسية في فلسفة اللغة تستند على وجود علاقة وطيدة بين كل من الشكل والمحتوى في اللغة العادية؛ وبين الشكل والمحتوى في فعل المفهمة للتراكيب)).[4]

في الواقع، أن النص أعلاه يكاد أن يشير إلى تلك الحالة من الاختلاف والتباين بين مفهوم نظرية اللغة وفلسفة اللغة التي بدت تنفصل تدريجيا عن ذلك الطابع المفاهيمي التجريدي في تكوين المعرفة واللغة. علاوة على ذلك، إن طبيعة العلاقة المتداخلة بين نظرية اللغة واللسانيات، لم تنعرج هي الأخرى لغرض أن تتجاوز الأطر الشكلانية والبنيوية للغة. من هنا،ظلّ مفهوم:((نظرية اللغة هي نظرية في اللسانيات الوصفية التي تمثل الوقائع حول بنية اللسانيات المشتركة لجميع اللغات الطبيعية)).[5]

وعلينا أن نتساءل هنا، ما هي طبيعة العلاقة إذن بين فلسفة اللغة العادية ونظرية اللغة الطبيعية؟ وهل يمكن لعلم اللسانيات أن يشكل منعرجا جديدا مع فلسفة اللغة العادية؟ وكيف لفلسفة اللغة العادية أن تؤثر على الفاعلية السيمانتيكية **semantics** للغة؟

لقد كان لظهور فلسفة اللغة العادية الأثر الكبير والبالغ، في إحداث سلسلة من التحولات والانعراجات في اللسانيات من جهة؛ ونظرية اللغة واللغة الطبيعية من جهة أخرى. بالطبع،ذلك لا يعني أن مفهوم فلسفة اللغة العادية لوحده كان كفيلا بحل مجمل مشاكل وإشكالات الفلسفة والأبستمولوجيا. وإنما

يمكن القول ان أهمية مفهوم اللغة العادية تكمن في إعادة توجيه النظر إلى ما هو نسبي ويومي في ذهنية المتكلم الذي يقع خارج أيديولوجيا السستمة النظرية وسيطرة البرادايم السنتاكسي والفونولوجي المتحكم في الكيفية التي تجري بواسطتها إنتاج الجملة والعبارة. لذلك تعتبر: ((إسهامات فلسفة اللغة العادية مهمة إلى حد بعيد في مجال البحث في السيمانتيك، بل إنها تمثل في واقع الأمر أكثر من مجرد إسهام كذلك الحاصل من قبل علماء اللسانيات الاحترافيين **professional linguists** في النصف الأول من القرن العشرين. فبينما كان هؤلاء الاحترافيون منشغلين في المقام الأول بالفونولوجيا والسنتاكس؛ ومشاكل تاريخية أخرى مختلفة، اتجه فلاسفة اللغة العادية، إهتمامهم نحو المشاكل الابستمولوجية، لذلك تركزت أبحاثهم حول إعادة قراءة السيمانتكس **semantics**)).[6]

يمكن القول إذن، أن فلسفة اللغة العادية ظهرت كرد فعل طبيعي ضد سيطرة المنطق التجريبي، الذي حوّل اللغة إلى كيان صنعي؛ نظري وعلموي. ومن المعروف انه كان قد: ((جرى الاشتغال على الأسس الفلسفية في فلسفة اللغة العادية من قبل عدد من الفلاسفة، وكان ابرز تلك المساهمات هي للفيلسوف فتغنشتاين **Wittgenstein** الذي بدأ مسيرته كفيلسوف تجريبي منطقي. وقد ناقش في كتابه من مرحلته المبكرة وهو **TractatusLogico-Philosphicus** موضوع كيفية التسليم بمبادئ كالمثال واللغة الصنعية حيث يجري بواسطتها تعريف المفاهيم بدقة عالية لتعبر الفرضيات عن الشكل الحقيقي للوقائع بطريقة لا لبس فيها. في الواقع، أصبح فتغنشتاين نفسه عبر ذلك الكتاب معروفا كواحد من بين المؤسسين للنزعة التجريبية المنطقية **logical empiricism**. غير أن نمو حالة من عدم الاقتناع بتلك المبادئ أدت به في نهاية المطاف إلى تفنيد ودحض تلك النزعة التجريبية بطريقة جعلت منه يضع الحجر الأساس لمفهوم بديل يدعى التحليل والعلاج الفلسفي.

لم يأخذ فتغنشتاين ذلك الموقف الذي يرى أن فشل مقاربة اللغة الصنعية ناتج عن عدم اتسامها بالخاصية العلمية الكافية. وإنما كان قريبا من الرأي القائل أن ذلك الفشل ناجم بالأحرى عن التعاطي مع الموضوعات بطريقة علموية مفرطة للغاية. وما كانت نقاشاته إلا تعبيرا عن طموح في محاكاة فاعلية العلماء بهدف تغيير أنموذجهم الخاص باللغات الصنعية والأنظمة العلمية)). [7]

بهذه الطريقة العلمية، يُعاد صناعة وابتكار المتكلم باعتباره امتداد طبيعي وحتمي لمجمل القواعد والقوانين المنطقية الحتمية التي تفرض عليه أن يستعمل الكلمات بدقة وصرامة هذه المناهج والعلوم الوضعية التي تنشد إلى قيام وتأسيس لغة مثالية. إذ: ((يرى المنطق التجريبي أن تفسير الكيفية التي يتمكن المتكلم بواسطتها من استعمال كلمة معينة للإحالة على شيء محدد، إنما يكمن في معرفة المتكلم المسبقة لشروط ضرورية ومتسقة بما يكفي لأجل تطبيقها وكذلك من اجل استعمالها بالشكل

الذي يتمكن فيه المتكلم من اتخاذ القرار بشأن استعمال كلمة معينة من خلال تحديد ما إذا كانت القضية المطروحة متطابقة تماما مع محتوى تلك الشروط المسبقة. لكن المتكلم -بحسب فتغنشتاين- لا يمكن له أن يستند في اتخاذ القرار حول استعمالات كلمات لغوية محددة وفق ذلك الشكل المنطقي الصارم، لأنه ببساطة لا وجود لمثل تلك الشروط)).[8]

من النص أعلاه، يتضح لنا كيف حاول فتغنشتاين أن يعيد النظر في طبيعة الأشكال اللغوية النمطية والتي عملت على مأسسة اللغة بسلسلة من القوانين والقواعد والأطر المثالية ينبغي للمتكلم أن يخضع لأحكامها ولشروطها وأسسها ليتمكن من أداء أفعال الكلام السليم معنا ونطقا وتركيبا لغويا ليتطابق مع شروط نمذجة المنطق التجريبي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الأشكال الوضعية والعلموية هي التي سادت وسيطرت في الأوساط الأكاديمية إلى حد كبير جدا، بل هي التي عملت على تحديد وظائف وخصائص ومفاهيم اللغة وعلم اللسانيات الذي لطالما: ((جرى استعماله بشكل غامض جدا... إذ غالبا ما يشير إلى مجمل حقول دراسة اللغة الواقعة تحت هيمنة الانضباط الأكاديمي لعلم اللسانيات، وأحيانا أخرى يشير إلى ذلك الحقل الذي يتمتع بمرتبة علمية خاصة أي "اللسانيات السليمة" **linguistics proper** كما اعتدنا على قول ذلك كثيرا. واعني بعلم اللسانيات السليم هو دارسة النحو **grammar** بالمعنى الشائع: أنظمة الصوت في اللغة (**phonology**)؛ البنية النحوية للكلمات (**morphology**) وللعبارات (Syntax) وغيرها من المظاهر الشكلانية للمعنى (**Semantics**). وقد حازت هذه اللسانيات على قبول واسع النطاق من داخل حقول العلوم الإنسانية نفسها ووصلت إلى حالة من التمركز حول اللغة بين الظواهر الإنسانية الأخرى، وعلى دراسة اللغة بين حقول العلوم الإنسانية من جهة أخرى...ومن المفارقة، أن هذه اللسانيات منحت اهتماما قليلا نسبيا نحو فاعلية الكتابة أو الكلام في الواقع **Actual Speech**. وذلك يعود إلى محدداتها في وصف اللغة بخصائص أمثال أن اللغة هي قوة كامنة، أو هي نظام، أو هي استعداد تجريدي، عوضا من أن تحاول وصف الممارسات اللغوية في الواقع)).[9]

في الموضع أعلاه، يبدو أن هناك تماثلا واضحا بين مفهوم اللسانيات الأكاديمية وبين النظرية اللسانية. ومن ثمة، أصبحت البنية المنطقية العميقة لهذين المفهومين، هي نفسها التي تشكل النظرية اللغوية أو ما يُعرف باللغة بوصفها حدث كلي Event **language**.بمعنى آخر، إنها اللغة الوضعية **positivist language** حيث يكون معيار اللغة المتفق عليه مسبقا في علم اللسانيات ونظرية اللغة هو الوصول إلى لغة خالية من الشوائب **Clean up language**، لذلك نرى كيف أن نظرية اللغة ونظرية اللسانيات تبقى متمركزة على الجملة/العبارة **Sentence-linguistics**. بمعنى آخر، إن نظرية

اللسانيات تبقى محددة ومسستمة ضمن نظام البنية السطحية (تراكيب الكلمات الخارجية) والبنية العميقة للجملة (النظام السيمانتيكي المنتج للمعنى) وهي بذلك تختلف عن لسانيات النص **Text-linguistics**التي تخرج من وحدة المعنى للنص لتتجه نحو فضاء اكبر واشمل للنص في العالم. [10]

رولان بارت... من أيديولوجيا النقد القديم إلى ميثولوجيا التواصل الجديد

من كل ما سبق، يتضح لنا أن العلاقة المتداخلة بين فلسفة اللغة العادية عند فتغنشتاين ولغة النقد الأدبي الجديد عند رولان بارت، إنما هي في الأساس علاقة إشكالية عبرت عن أكثر من أزمة، فمن أزمة انطولوجيا اللغة في العالم؛ إلى انطولوجيا العمل الأدبي في اللغة؛ ومن أزمة المنطق الوضعي في لغة التعبير الفلسفي؛ إلى أزمة المنطق في اللسانيات والدراسات الأدبية؛ ومن أزمة هيمنة النزعة الوضعانية **Objectivism** في تاريخ الفلسفة؛ إلى طغيان هذه النزعة وسيطرتها في تاريخ النقد الأدبي وفلسفة البلاغة والسيميائيات الثقافية.

من هنا، كان الهدف الأساسي من إجراء المقاربة الإبستمولوجية والمنطقية واللغوية بين فتغنشتاين وبارت، هو توضيح كيف يمكن للاختصاص الأكاديمي أن يتحرر من نزعته "الأكاديمية الوضعانية الضيقة" ليكتشف أبعادا راديكالية جديدة في هذه الحقول لم يتعرف عليها من قبل، جراء سيطرة القراءات الحرفية والوضعية على هذه الحقول.

وهذا بالضبط ما سعت إليه ثورة بارت على تفكيك تاريخ "القراءات الحرفية"للأعمال الأدبية في النقد الأدبي الفرنسي والناجمة عن سيطرة الحقائق البدهية **Truths Evadent** وهو مصطلح يعيد إلى ذاكرتنا سيطرة مفهوم اللغة بوصفها حدث كلي **language Event** كما هو الحال عليه في اللغة الوضعية لا سيما في المرحلة المبكرة من فكر فتغنشتاين اللغوي.

إن الفكرة الأساسية عند بارت في نقد وتفكيك مفهوم القراءات الحرفية/ما قبل التأويلية للعمل الأدبي، تكمن في تفكيك "منطق الخطاب الوضعاني في النقد الأدبي واللسانيات واللغة".فقد تحول هذا المنطق إلى قوانين صارمة تتحكم في إنتاج النوع الأدبي **laws of the genre**. حتى أصبحت معه الحقائق البدهية المعتمدة في تأويل العمل الأدبي، تمثل في حد ذاتها: ((يقينيات اللغة، وآثار السيكولوجيا المحكمة والمتماسكة، والضرورات الحتمية لبنى النوع الأدبي)). [11]

لقد رأى بارت أن محنة وإشكالية لغة النقد القديم، تتمركز في سيطرة برادايم "الحقيقة البدهية" التي جعلها بارت تتوسط بين مفهوم "النزعة الوضعانية" في النقد؛ ومفهوم المحتمل النقدي **CRITICAL VERISIMILITUDE** حيث إن القاسم المشترك بين هذين المفهومين، إنما يتمثل في النزعة الحرفية/الأرثوذكسية المعتمدة في قراءة الأعمال الأدبية التي لا تستطيع: ((الذهاب إلى ما هو ابعد من

حرفية الرمز. بل إنها في الواقع، غير قادرة على القراءة منذ أن أصبحت القراءة رمزية. إذ إنها لا تختلف عن القراءة الحرفية عند بارت لكون هاتين القرائتين تعبران عن قراءة محكمة ودقيقة وصارمة في اختيارها لشيفرات محددة مسبقا)).[12]

لقد استحوذ مفهوم "الصرامة في النقد الأدبي" على اهتمام كبير من قبل بارت، خاصة وان جزء كبيرا من هذه الصرامة ليست فعلية بقدر ما هي شكلانية ووضعانية، جسدتها طبيعة المفاهيم التقليدية المطلقة حول النقد والقراءة واللغة. فليس غريبا في شيء، إذا ما رأينا تكرارا واضحا لمفهوم "الحقيقة البدهية" في كتاب بارت (نقد وحقيقة)، عندما نعلم أنه مفهوم يعد بمثابة المفتاح الأساسي لفهم/وإعادة فهم وتأويل مفاهيم النقد الجديد؛ والنقد المحتمل؛ واللغة الحرفية. لقد أكدّ بارت على أن هذه المفاهيم لا تعبر عن نقد تاريخي وحقيقي، بقدر ما تعبر وتعكس مجموعة من الافتراضات **propositions** والقوانين الشكلانية الصارمة حول حياة النقد المفترضة في العالم. وكأن "الحقائق البدهية" أصبحت هي قدر العالم، حتى وإن لم يختارها، لأنها: ((تحولت في ذاتها المعبر عن مجمل ما نتوفر عليه من اختيارات. ولكونها تؤخذ حرفيا، حتى وإن كان الاختيار الأول تافها أو قل إن شئت لا يكون اختيار في محله، فليس هنا كمن أحدا بدا كان قد دحض أو سيدحض المعنى الحرفي في خطاب أي عمل من الأعمال الأدبية... وهذا ينطبق على حقائق بديهية أخرى والتي تعتبر بمثابة تأويلات سابقة لكونها تتضمن على اختيار موجود سلفا للأنموذج البنيوي والسايكولوجي. هذه الشيفرة –لكونها شيفرة- يمكن لها أن تتباين، وبذلك فإن الوضعانية إنما سوف تستند بعد ذلك، ليس على اختيار الشيفرة بالطبع، وإنما على خاصية الصرامة التي يجري بواسطتها تطبيق هذا الأنموذج المختار والمحدد في قراءة عمل أدبي معين... النقد المحتمل عادة ما يختار الشيفرة الحرفية)) [13].

من هنا، فإن مفهوم النقد المحتمل حسب اصطلاح بارت، لم يتجاوز أيديولوجيا اللغة الوضعية والمنطق الرمزي الذي أسس لكينونة لغتنا وممارساتنا الكلامية. بمعنى آخر، إن لغة ما يُحمل على أساس النقد وهو لا يشير إلى ذلك بالضرورة لذلك فهو نقد محتمل يستند في بناء فرضياته النقدية على لغة بدهية/صنعية تحاول أن تعيد تشكيل الأشياء والوقائع من خلال استعمال نماذج وموديلات منطقية افتراضية، لا تعكس لغة الحياة اليومية العادية، بقدر ما تعكس أنظمتها المتماسكة. ويبدو هنا، أن بنية النقد القديم التي عمل بارت على نقدها وتفكيك نظامها المنطقي الصارم، تكاد أن تماثل المرحلة المبكرة لفلسفة اللغة والمنطق عند فتغنشتاين في كتابه **TractatusLogico-Philosphicus**.

في حين، إن مفهوم النقد الجديد عند بارت، يكاد أن يكون موازيا للمرحلة المتأخرة عند فتغنشتاين في كتابه الأبحاث الفلسفية **philosophical investigations** والذي جرى معه التدشين إلى فلسفة اللسانيات **philosophy linguistic** حيث تجاوز فيها اللسانيات الوضعية وفلسفات اللغة النظرية والتقنية والصنعية بالطريقة نفسها التي حاول فيها بارت التحرر من برادايم النقد المحتمل وسلطته المنطقية البرجوازية التي تجعل من العالم مجرد انعكاس آلي لافتراضاته [(14)] من خلال إعادة إحياء شعائر اللغة الطبيعية/الصنعية النظرية المنفصلة تماما عن فلسفة اللغة العادية.

من هنا، فإن بارت مثلما كان الحال عليه مع فتغنشتاين، ظل يشكك بوجود قواعد وقوانين ثابتة ومطلقة للغة يجري بموجبها تعليم/وتلقين المتكلم كيفية الحديث واختيار الكلمات وكيفية وضعها ونطقها والتمأسس بمنطقها الوضعي. محاولا، في الوقت نفسه، تفكيك حالة الاغتراب بين اللغة وبين المتكلم الذي أصبح خاضعا لعملية تغذية مكيانيكية استراجعية **Feedback mechanism**. وهذا ما دفع بارت إلى التعبير عن "لسانيات ابسوردية/سيزيفية" دعته إلى القول أنه: ((لم يعد للكلمات قيمة تحيل إليها من قريب أو من بعيد، وما هو موجود في الواقع إنما هو مجرد تبادل للقيم السائدة حيث اقتصرت وظيفة الكلمات فيها على التواصل الذي هو أقرب إلى التعاملات التجارية البليدة...بكلمة واحدة،لا تقدم اللغة إلا ما هو يقيني الذي يعني ما هو متآلف عليه **Banality** وهو ما يقع عليه اختيارنا على الدوام)). [(15)]

هوامش البحث:

1. حول تطور مفهوم السيميولوجيا عند بارت يُنظر: Roland Barthes: Éléments de sémiologie
2. يُنظر: Roland Barthes:degrézéro de l'écriture
3. Jerrold J. Katz : The Philosophy of Language, New York, 1966, p. 10
4. Ibid., p. 4
5. Ibid., p. 8
6. Ibid., p. 87
7. Ibid., p. 69-70
8. Ibid., p. 73-74
9. Norman Fairclough: Language And Power, Longman, 1989, p. 6-7
10. للمزيد يُنظر: Roger Fowler: Liguistics and The Nouvel, Methuen-London, 1977
11. Roland Barthes: Criticism and Truth, translated and edited by Katrine Pilcher Keuneman,Continuum-London, 2007, p. 4

ملاحظة: لابد من الإشارة هنا الى ان الترجمة العربية لكتاب بارت (نقد وحقيقة) للمترجم: د. منذر عياشي، لم تولِ أي أهمية وعناية الى تحولات مفهوم الوضعانية في هذا النص، لهذا اتسمت الترجمة بالطابع الحرفي لا سيما لهذا المفهوم. ولم توضح كذلك اهمّ الإشكالات المنطقية والفلسفية التي رافقت تطور هذا المفهوم خاصة وهو يحتل أهمية ابستمولوجية كبيرة بين النقد القديم/والنقد المحتمل من جهة؛ وفي تاريخ اللسانيات وفلسفة اللغة عند بارت.

12. Ibid., p. XVI-XVIII
13. Ibid., p. 5-6
14. حول نقد بارت لتمثلات الأيديولوجية البرجوازية في اللغة والثقافة والدلالةيُنظر: Roland Barthes: Mythologies
15. Roland Barthes: Criticism and Truth, p. 6